

قراءتي العدد الماضي من «الأرواح»

عبد اللطيف شقارة

وبقيت الشفرة الثالثة ، وهي افتقاد الحديث في تلك الندوة من جهود المرأة في هذا الحقل ، وعن المجلات النسائية وما قدمته في سبيل التوعية ، وميادين التنقيف ، بحيث أن احدا لم يأت على ذكر مجلة «مينرنا» مثلا في لبنان ، و «السيدات والرجال» أو «حواء» في مصر .

وإذا كانت المجلات الأدبية والثقافية في البلاد العربية - والاسيوية الإفريقية - تعاني ما تعاني من ضيق ، وقصر عمر ، وفقر ذلك .. فإن معاناتها هذه ، تعود في أكبر جزء منها إلى أن الفنتاة العربية ، والمرأة في القارتين على العموم ، لا تقرأ ، ولا تشارك في الحياة الأدبية والثقافية ، ولا توليها شيئا من اهتمامها .. إلا في النزر النادر الذي لا يعتد به ، ولا يمكن أن يمتد به ، إذا ظلت الحال على هذا المنوال !

تقوتنا

ولنبدا من البداية ! البداية في العدد الماضي من «الاداب» للدكتور سهيل أديس ، حيث يبين أن «المجلة الأدبية في العالم العربي خاصة ، مهملات الشأن، مكسورة الجناح ، ألا أن تكون مصحبة من السلطة ، المثلة بوزارة الإعلام أو سواها من وزارات الدولة» . ومعنى ذلك أن مجلة «العربي» أو «عالم الفكر» مثلا ، اللتين تصدران في الكويت ، لا يمكنهما أن تحلوا ، ولا أن يرتفع شأنهما إذا هما أتممتنا على قرائنهما وحدهم ، فيما تنقصان وتطميان على السواء، وما يقال في هاتين المجلتين الكويتيتين ، يقال في غيرهما من المجلات الأدبية والثقافية التي ترعاها الدولة في أي قطر من الأقطار العربية .

هذا صحيح . وهو صحيح أيضا في الاتحاد السوفياتي ، وغيره من البلدان الاشتراكية ، وعدد من أقطار الشرق الأقصى . أما في فرنسا ، وانكلترا ، والبلدان الاسكندنافية ، فإن المجلات الثقافية والأدبية تصدر ، في معظمها ، عن منظمات ، وأحزاب ، وجمعيات علمية وثقافية .. أنا لنجد مجلة مثل «انكاوتر» في بريطانيا تقوم أساسا وتنتشر لخدمة الأفكار والمبادئ التي تدعو إليها «المنظمة العالمية لحرية الثقافة» ، ونجد وراء «الأزمة الحديثة» التي أسسها جان - بول سارتر في فرنسا ، هيئة تنمو وتزداد نوا ، وتستمد مؤيديها من جهات العالم الأربع لأنها تهدف إلى مبادئ معينة ومقررة ، وتعهد على نشر فلسفة يرتضيها من يرتضيها ، ويرفضها من يرفضها . وهذه المجلات تشبه ، على نحو من الإنحاء ، مجلات «الجامع العلمية» التي كانت تصدر ولا تزال ، عن دمشق ، وبغداد ، والقاهرة ، بمعنى أن المنظمات والهيئات التي ترعاها ، وتولي شؤونها ، وتهتم بانتشارها ، تظل هي المسؤولة من نموها وتقدمها ، أو ركودها وتوقفها .

بقي أن البلدان العربية شهدت منذ مطلع القرن العشرين إلى مشارف الربع الأخير منه ، اقبالا فرديا ، منقطع النظير ، على إنشاء المجلات الأدبية : الأسبوعية والشهرية ، دون لحاظ من منشئها لما يمكن أن تفضي إليه . وليست قصة «الرسالة» لأحمد حسن الزيات ،

طرح العدد الماضي من «الاداب» في معظم أبحاثه ، مسألة تبدو أنها «متخصصة» هي مسألة المجلات الأدبية والثقافية . وهي في جوهرها ، أهم وأشمل مما بدت أو تبدو . وذلك واضح في البيان الغتامي لندوة المجلات الأدبية والثقافية ، الذي تحدث عن «المرحلة التاريخية الراهنة ونحن على مشارف الربع الأخير من القرن العشرين» وما تتطلب هذه المرحلة من الأدباء والمثقفين في آسيا وإفريقيا .

لم تكن المسألة إذن مختصة ، في حقيقتها ، بالمجلات الأدبية والثقافية ، وإنما كانت ، في حقيقتها - مرة ثانية - مسألة تربية ، وتعليم ، وحكم ومحكوم ، ومؤلف ، وطابع ، وناسر ، وقاريه ، وبالتالي ، أي بطريق غير مباشرة ، مجموعة مسائل متداخلة ، متشابكة ، لا سبيل إلى فصل واحدة منها عن الأخرى . أنها على التحقيق ، مسألة تربية الطفل الآسيوي - الإفريقي ، وتوجيهه نحو المعرفة وحبا ، وطرائق تعليمه ، وأساليب الحكماء في تأمين حاجاته وتلبية متطلباته ، واتجاهات المحكومين ومناهجهم في تحقيق أغراضهم ، وتطلعات المؤلفين والكتاب في كل ما ينهون إليه من كتاباتهم وتاليهم ، ومواقف أصحاب الطابع ، والناشرين ، والقراء ، والقارئات من المرين ، والمعلمين ، والأدباء ، والحكام ، والمحكومين في آخر مرحلة . وتلك هي القضية المطروحة .

ثلاث ثغرات

لقد بدا لي أن ثمة ثلاث ثغرات في أبحاث تلك الندوة المتخصصة: أولاها أن احدا من الذين خاضوا في أبحاثها . لم يتناول الجانب التاريخي في نشوء المجلات الأدبية والثقافية في العالم العربي ، ولا في قارتي آسيا وإفريقيا ، إذ كان ينبغي أن يتفرد لهذا الموضوع بحث واحد على الأقل ، يروي لنا كيف نشأت «الجوانب» مثلا ، أو «الجنان» أو «المتنظف» وأخوانها الثلاث المعروفة في دنيا العرب من أقصاهما إلى أقصاهما ، وهسي «الهلل» ، و «الشرق» ، و «العرفان» .. ويمضي في عرضه التاريخي حتى يصل إلى «الأديب» و«الاداب» و«الطريق» الخ .. لأن مثل هذا التاريخ يلقي ضوءا على الواقع الذي تعيش فيه المجلات الحالية ، وما تمر به من تجارب ، وتعاين من بلاد .

والثغرة الثانية أن احدا لم يتحدث عن مساهمة الحكام العرب - والزعماء الآسيويين والإفريقيين عامة - في الأعمال التعليمية ، والدراسات الثقافية ، والشؤون الأدبية والفكرية ، وفي إطار الصحافة الأدبية الخالصة بعد نشوئها ، في الوقت الذي كان به حكام العرب من الجاهلية (أمرو القيس الملك الضليل) ، مروا بالأمون (الخليفة الفيلسوف) إلى أحمد لطفى السيد وطه حسين اللذين وليا الوزارة في مصر ، إلى دولة الأستاذ تقي الدين الصلح في لبنان ، يولون الشعر والأدب والفكر أقصى ما لديهم من عناية ورعاية ، في بعض الحالات .

أما في آسيا فلنا مثل واضح في غاندي نفسه الذي أسس صحيفة «الهند الفتاة» ، ثم في السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في مجلة «العروة الوثقى» . وكان لنا في «تكروما» زعيم غانا ، مثل إفريقي أوضح ، على مساهمة الحكام في أعمال القلم ، ورسالة القلم إلى الحياة العامة .

الاجتماعية « من أعلى » وعن طريق جهاز الدولة ، وبالاساليب البيروقراطية .

٦ - هناك مجموعة كبيرة من دول العالم الثالث اعلنت غداة الاستقلال ان بناء « الاشتراكية » هو سياستها الرسمية .

٧ - بلدان العالم الثالث كلها ، بدون استثناء تقريبا ، ميدان حرب ايدولوجية حامية الوطيس .

لا بد من الاشارة الى ان هذه « الوقائع الرئيسية » ليست « وقائع » الا من خلال نظرة اجمالية ، والنظرة الاجمالية تضربودوما صفحا عن حقيقة ما يجري في حركة الحياة اليومية ، فالعالم الثالث لم يتوصل بعد ، في الواقع ، الى « انهاء » المهمة الاستعمارية ولا تزال دوله المستقلة تعاني الكثير من الضغوط الاستعمارية التي تمارس عليها بصورة غير مباشرة . والسيادة القومية لم تتحقق في كل بلدان العالم الثالث ، بل أنها لا تزال عرضة لتطاولات واعتداءات صارخة ، تقوم بها دول « متخلفة » من هذه الناحية كجنسوب افريقيا ، واسرائيل ، وفورموزا . وهي دول « اقيمت » مستقلة ، وهي « لم تقم » ، ولا في استطاعتها ان تقيم شيئا مما يصح ان يسمى استقلالاً ، لان وجودها نفسه قائم على « تبعيتها » لغيرها . ووجودها لا يزال في الواقع ، امتداء على السيادة القومية فسي افريقيا كلها ، والشرق الاوسط ، والشرق الاقصى . وما يقال في هذه الدول الثلاث ، يقال عن غيرها في اميركا اللاتينية ، ممن يقوم وجودها على التبعية . .

ولي اعتراض على استعمال كلمة « التحدي » في مواجهة للحاق بالثورة العلمية والتكنولوجية ، اذ ليس في الموقف الذي يعرضه الاستاذ الخولي ما يشكل تحديا حتى بالمعنى المجازي ، وانما هناك ظروف تاريخية ، واوضاع اقتصادية ، وعقليات كانت سائدة ، ادت الى هذا الواقع . ثم ان للامم ، كما للأفراد ، طاقات وامكانيات لا تملك ان تفتر من فوقها ، فاذا لم تستطع فرنسا مثلا ان ترسل روادا الى القمر ، لان موازنتها لا تتيح لها ان تنفق في هذا السبيل، الاموال اللازمة ، فهل يعني ذلك ان الصعود الى القمر يشكل تحديا تكنولوجيا للفرنسيين ؟ وكيف ذلك ؟

وها هي الهند تصنع اليوم القنابل الذرية والنوية ، وكان البانديت نهرو قد صرح قبل وفاته بأعوام ، ان في امكان الهند ان تصنع القنبلة الذرية ، ولكن ليس من سياستها ، ولا من اهتمامها ان تكس الاسلحة ، ولا ان تستعملها .

الواقع ان التقدم التقني لا يشكل تحديا لشعوب العالم الثالث، فليس ايسر عليها من تحقيقه حين تنصرف الى تحقيقه . وتبلل في سبيله ما يحتاج اليه .

اما النقطة الخامسة ، اي مواجهة التحولات الاجتماعية من اعلى ، وعن طريق البيروقراطية ، فان الفموض يكتنفها من جهاتها الاربع ، والمسألة التي تبتثق عنها ، ولا يبقى من سبيل الى معالجتها، هي ان التحول الاجتماعي لا يجري ولا يتحقق الا بالتربية ، والتنوع ، وتنوير الازهان ، وبث الافكار ، وهذه كلها « عمليات » يقوم بها الكبير تجاه الصغير ، ولا يملك ان يقوم بها الصغار تجاه الكبار ، والقاصرون تجاه المسؤولين .

ليس هذا « تبريرا » للبيروقراطية ، وانما هو « اشارة » للواقع في معطياته العملية ، واذا كانت دول العالم الثالث تحاول استقلال البيروقراطية لاجراء تغيير اجتماعي او تحقيق ما يسمونه « الاصلاح » فلانها لا تجد وسيلة اخرى ، بحسب ما يكتنفها من ظروف وبتاح لها من امكانيات، الى تغيير ما يعمل المثقفون على تغييره ، او يتطلعون

— التتمة على الصفحة ٧٢ —

و« الثقافة » لاحمد امين بقرية عن اذهان العرب المعاصرين في المغرب والشرق معا . وهو هو حديث المجلات المماثلة في العراق وسوريا ولبنان واقطار المغرب العربي ، كما هو مبسوط بالتفصيل ، لدى عائدة مطرجي ادريس ، وعزالدين اسماعيل ، وعبدالجبارة داود البصري ، وشمران الياسري في العدد نفسه من « الاداب » . فماذا يستفاد من هذه التجارب والدراسات ؟

اظن انها تفصح عن فكرة واحدة ، وتؤدي الى نتيجة واحدة ، هي ان الصحافة الادبية تنجح في بلادنا العربية كلها نحو « الانحصار في اطر جماعية » ، بحيث لا تنشأ بعد مجلة ثقافية يمتد بها العمر طويلا ، الا حين تكون « لسان جماعية » . وعندئذ ، يصبح نشاطها من نشاط الجماعة التي اتخذتها اداة تعبير عنها ، وزوالها مرتها بتفكك تلك الجماعة او توقفها .

ولكن الدكتور سهيل ادريس يواجه الموقف ، من زاوية اخرى ، في افتتاحيته ، حين يوضح « ان اخطر ما تعانيه المجلات الادبية ، والعربية منها بصورة خاصة ، هو الرقابة التي تحاول قمع الفكر في كثير من البلاد العربية » . وينهي كلامه بدعوة هذه المجلات الى مواصلة « نضالها وصراعها بيزيد من الشجاعة والتضحية ، من اجل حررتها الفكرية الكاملة » .

هنا ، تعود الى النقطة الاساسية التي انطلق منها البحث ، وهي شمول القضية المطروحة وتداخل اجزائها وتشابك فروعها . واهم ما فيها ان الفكر لا يزال ، ازاء الجهل السائد ، والامية المتفشية ، وانزال المرأة عن الحياة الثقافية ، غير ذي اثر فعال في بلدان العالم الثالث ، فلا بد اذن من ايجاد الظروف الموضوعية المؤاتية لنموه ، وازدهاره ، وانتشاره ، وهو الكفيل بعد ذلك بانقاذ الحاكمين والحكوميين معا ، من القمع ، والضغط ، والرقابة ، وسائر ما يشكو منه ذوو العقول النيرة ، اي ان الشجاعة والتضحية على جلالته قدرهما ، لا تجدان المجلة . ولا صاحبها ، ولا كتابها ، اذا هي لم تجد من يقرأها في جميع الاوساط — والوساط النسائية خاصة — او اذا كان قراؤها لا يتجاوزون عدد الاصابع من الجنسين !

واذا « كان المطلوب مزيدا من روح الجدبة والمسؤولية والتعمق » الى المشاركين في ندوة المجلات الادبية ، فان ذلك هو المطلب العام الذي يرفعه الواعون ، في كل مكان وزمان الى اهل الحل والربط في كل شأن من الشؤون العامة . ولكنه مطلب لا يتحقق الا برفع المستوى الفكري ، وهذا ما تعمل المجلات الادبية الراقية في سبيله ، على كل حال ، لمجرد انها راقية .

دور المجلات الثقافية المتقدمة في العالم الثالث

. . وهنا نصل الى بحث الاستاذ لطفي الخولي الذي عرض بكثير من التفصيل والوضوح « معنى » العالم الثالث ، قبل ان يتحدث عن المجلات ، واعتمد في عرضه « الوقائع الرئيسية » التالية :

١ - انتهت مجموعة بلدان العالم الثالث مهمة السيطرة الاستعمارية ، واقامت دولا مستقلة .

٢ - تشترك هذه البلدان جميعا في انها تخوض كفاحا اشده قسوة واكثر تعقيدا ، بعد تحقيق السيادة القومية ، لانها تواجه مهام تثبيت الاستقلال السياسي ، وتحقيق الاستقلال الاقتصادي والقضاء على ميراث رهيب من التخلف في كافة المجالات .

٣ - تتميز هذه البلدان بتكويناتها الاجتماعية المتنوعة ، والمختلطة للغاية .

٤ - تشترك هذه البلدان جميعا في انها تواجه تحديا خطيرا ، هو للحاق بالثورة العلمية والتكنولوجية .

٥ - تشترك هذه البلدان جميعا في انها تواجه التحولات

قرأت العدد الماضي من الاداب

تابع المنشور على الصفحة - ١٦ -

الى تغييره ، فهل هناك بديل لهذه المحاولة ؟!

لقد اوضح الاستاذ الخولي ، على نحو جلي ودقيق ومقنع ، مواقف المثقفين وصرعاتهم « حول اختيار طريق التطور الاجتماعي » ، بيد انه لم يوضح جانبا اراه اساسيا ، وهو ان للثقافة نفسها مستوى ادنى لوقف الصراع ، بمعنى انه اذا لم يجمع المثقفون على الاهتمام بالشؤون الثقافية وايلانها القسم الاكبر من جهودهم ، اية كانت اتجاهاتهم واحزابهم في العالم الثالث ، بقي امرهم مشتتا ، وضاع اثرهم ، واصبح شأنهم شأن غير المثقفين ، وغدوا والاميين سواء !

تلك هي النتيجة العملية الوحيدة للصراع بين المثقفين ، او هي النتيجة الاخيرة التي تسفر عنها الحرب الايديولوجية في المرحلة الراهنة من تاريخ العالم الثالث . والاستعمار يعرف ذلك ، هو يسعى في تاجيح هذه الحرب ، على كل صعيد ، ولا حاجة الى البيان ان المثقف البعيد النظر ، الى اي طرف مال ، هو الذي يضع في اعتباره هذا الواقع ، ولا يسهو عن النتيجة التي ينشدها الاستعماريون ، ويحول دون تحقيقها ، قدر استطاع ، وفي العالم الثالث خاصة .

والحقيقة هي ان العالم الثالث يتميز بناحيتين : اولاهما وجهة اهتماماته ، فهو لا يزال يحس ويلمس ويرى ان مشكلاته غير المشكلات التي يعانها اي من العالم الاول او العالم الثاني ، ولا يجد السبيل الى حلها بمفرده .

والميزة الثانية ان لكل بلد او مجموعة بلدان من مجموعات العالم الثالث ، تراثها ، وتاريخها ، وما يجره التاريخ ورايه والتراث ، من عقلية ، وتقاليد ، وعادات كلها او معظمها يحتاج الى اعادة نظر ، وتغيير : في الاقتصاد ، والاجتماع ، والثقافة ، والسياسة .

واذا كان للمجلات التقدمية الثقافية من دور ، فلن يكون دورها سوى « التشديد » على صرف الاهتمام السى المثقف ، والتثوير ، والاطلاع ، و « كشف » الاساليب ، والمناورات ، والخدع ، التي يلجأ اليها اعداء الشعب في الداخل والخارج للقضاء على وحدته ، والحيولة بينه وبين ما يتطلع اليه من حرية ، وعدالة ، وكرامة ..

وهذا ما احسن الاستاذ الخولي ايضا ، ولكن من غير ايجاز . والاسهاب واضح في « ملحق البحث » . ولكنه اسهاب مفيد ، لانه يقدم ارقاما ووقائع يفيد منها المختصون والعاملون في هذا الحقل .

البحث عن دور ممكن

... ويتناول الموضوع نفسه الاستاذ الياس خوري ، باحثا عن دور « ممكن » مشير بذلك الى قيام دور « مستحيل » . وكل ما يريده « البحث عن التيارات الايديولوجية الاساسية وشروط ولادتها » . متوسلا الى دخول بحثه ، ب « النقاط التطورية - التاريخية » ، ثم يستعرض هذه النقاط ، في ثلاث : ١ - الاحتلال العسكري المباشر الذي مارسه اوربوا الراسمالية ، والذي بدأ عمليا مع حملة بونابرت على مصر . ٢ - ولادة دولة محمد علي في مصر . ٣ - نمو المدن التجارية وتوسعها على حساب ضرب الحرف المحلية .

بيد ان ما جرى وراء هذه الظواهر الثلاث ، والذي جعل حدوثها

ممكنا ، لم يلمح اليه الاستاذ خوري في قليل ولا كثير ، والاملاح اليه او الاسام به ، ولو « بشكل تصنيفي سريع » كما اوضح هو بنفسه ، يمكنه من بيان « الرد التقليدي » و « الرد الحديث » على اجلى ما يمكن . وذلك لان الاحتلال العسكري المباشر الذي مارسه اوربوا ، فهمه الاولون على انه « نتيجة الابتعاد عن قواعد الدين ومبادئه » ، والانصراف عن الجد الى البذخ والتنافر ، واستبدال السلطات الحاكمة انذاك ، سواء تمثلت في المالكين الذين حاربهم نابليون ، او في الولاة العثمانيين . وهذا جلي واضح في « طبائع الاستبداد » للكواكبي ، مثلا . ولم تكن ولادة دولة محمد علي في مصر ، ظاهرة منزلة كذلك ، فان لها عواملها الداخلية ، بنسبة ما كانت لها عواملها الخارجية . وهو هو شان نمو المدن التجارية ، في تطور التاريخ الديمغرافي والاقتصادي .

ومد كان ذلك هو « الفهم السائد » لما حل بهذه المنطقة من تكبات ، واضطرابات ، واختلالات ، منذ حملة بونابرت الى يومنا هذا في بعض المناطق التي لا تزال تعاني من وطأة الاحتلال الاجنبي (فلسطين) ، فقد راح المستعمرون انفسهم يؤيدون بمسالكهم العملية ذلك الفهم ، الى درجة ربطوا معها حملاتهم على هذه البلاد ، ربطا تاريخيا بالحروب الصليبية . هذا معروف لا حاجة الى تفصيله .

اريد ان اصل الى بيان هذه الناحية ، وهي ان العقلية التي سادت اوربوا في مطلع القرن الماضي وامتدت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، لم تكن « علمية » من الناحية الاجتماعية ، اكثر مما كان حالها في الشرق ، ولا كانت ارقى ، ولا احفصل بالقيم الموضوعية . وذلك هو التخلف الحقيقي الذي لا يزال يتمثل في افكار الذين يؤيدون الصهيونية ، ويناصرونها في كل مجال وميدان . ودور المثقفين العرب الذي يبدو « مستحيلا » عليهم ، انما هو توعية الجماهير الاميركية ، وانتزاع اوربوا من الضلال الذي تسوقها فيه النمايات الصهيونية . اما اللور الممكن فهو بكل بساطة ، توعية الجماهير العربية ، وانتزاع الحكام والحكوميين فيها من الاوهام التي نشرتها اوربوا ، ولا تزال تفديها اميركا في طول البلاد والعربية وعرضها .

والقضية الخطيرة التي يثيرها الاستاذ خوري - وبسطها قبله الاستاذ الخولي - هو تعدد الايديولوجيات ، واصطراعها على صعيد الثقافة والمثقفين ، قبل غيره من الاصعدة .

غير انسي لا اجد هذا الموقف منحصر في الاقطار العربية وحدها ، بل يكاد يكون « سمة العصر » كله ، في كل بلد . ولنا في فرنسا وايطاليا مثلا صارخان على ذلك .

والعقدة الكبرى في هذه القضية هي حرية الفكر ، والصنق في ممارسة هذه الحرية ، لان الجموع في العالم الثالث اجمالا ، غير قادرة على فهم الفكر ، فضلا عن حمايته ، للسبب نفسه دوما : الامية ، والرقبة في السيطرة التي تعزها الامية ، والامية تعزها .

وهذا الذي نقله الاستاذ خوري عن العدد الاول من مجلة « الطريق » يجلو كل ما يمكن ان يكون غامضا في واقع « الجماعة المثقلة » ، وبالتالي في واقع المجلات الثقافية : هذه الجماعة ليست طبقة ، وهم التالي الثقافي يعزى الى انخفاض مستوى التعليم العام في المجتمع ، ليس للمثقفين اهداف ومصالح مستقلة ، يطرحون المسائل بطرائق مختلفة تخدم اطراف النزاع .

تلك هي حال المثقفين في كل بلد ، ولكن يمكن توحيد اهدافهم جميعا ، واتفاقهم حول مصلحة واحدة ، هي رفع مستوى التعليم ، وتعميم الثقافة على اوسع مدى . وهذا بدوره يخدم المجلات وجماهيرها .

المجلات الأدبية والاتحاد السوفياتي

شعرت ، وأنا اقرا هذه المقالة، ان كاتبها « يؤمن » ايمانا عميقا بما يقول ، وان فكره ، وقلبه ، وعمله تلتقي كلها عند المعنى الذي تفصح عنه العبارة : « كيف نسعد كل انسان على كرتنا الارضية ، كيف نقره بأجمل الكلمات ، واصفى الافكار واعمقها . كيف نملا قلبه بالطيبة ؟! » .

وما دام قد اتجه كائنسان ، في هذا السبيل ، ولم يبق في الافاق سوى الفيوم التي تحول دون تحقيق غايته هذه ، فان التور الذي يفصر سريره ينعكس امامه ، ويشع من حوله ، وبأخذ ، وهو يسير ، في تبديد الغلام ، وازالة العقبات ، وتحطيم العوائق .

بيد اني كنت انتظر، من خلال العنوان، ان يتحدث الينا سوفرونوف من المجلات الادبية التي نعرفها في الاتحاد السوفياتي ، مثل « الادب السوفياتي » سابقا و« اعمال واره » التي حلت محلها ، و« الثقافة والحياة » و « انباء موسكو » الاسبوعية وغيرها . . مما لا نعريف .

لقد بين بصورة عامة (ان المجلات الادبية اجهزة تسجل بدقة تحرك طبقات الارض العميقة . .) وان « المجلة الادبية واحدة من افضل الوسائل الفعالة لاتحاد الكتاب ، وخلق جو ادبي في البلاد » .

هذا كله صحيح ، ولكن بغينا لا نعرف شيئا عن « حياة المجلة الادبية » في الاتحاد السوفياتي ، وكيف تمشي ، وكيف يتم تزويدها بالمادة البشرية - اي الادباء - الذين يحولونها الى « جهاز تسجيل » ويجعلونها « افضل وسيلة فعالة لخلق جو ادبي في البلاد » . وما هي « الخلفيات التاريخية » لمثل هذه المجلات ، ومحوريها ، وناشريها ، والقائمين على توجيهها .

ذلك بان الادباء الحديثين في روسيا السوفياتية ، تحذروا من الجيل الذي اعطى تولستوي ، وتشيكوف ، وغوركي ، وغوغول ، وتورغينيف ، وغيرهم ، وهؤلاء كانوا يكتبون في المجلات ، ويدعونها نتاج قرائهم ، فما هي اوضاع الحديثين منهم ؟ لقد تسامع الناس هنا ، وفي كل مكان ، بما دعي « قضية باسترناك » سابقا ، و « قضية سولجينتسين » مؤخرا ، فكيف تنامي هذان ، وتكونتا ؟ وما هو دور المجلات الادبية السوفياتية في نشوء الضجة حولهما ؟ واذا كان للادب في عصرنا مهام لها اهمية كبرى ، من بينها المهمة الحضارية باوسع معاني هذه الكلمة « كما يبين اناتولسي سوفرونوف ، فان العقبات الكثيرة التي تمنع الادب من اداء المهمة الحضارية جزء لا يتجزأ من هذه الحضارة المعاصرة ، فمن هو المتحضر الحقيقي ؟

لا يمكن ، في التحليل الاخير ، ان ينطبق وصف المتحضرين على الذين يؤازرون العدوان والافتصاب ، فضلا عن القائمين بالعدوان والافتصاب ، حين يفجر من صفوفهم رجال يفتالون لسان كنفاني ، ويسجنون المطران كيوجي ، ثم يتباهون بعدد الحائزين جائزة نوبل للادب ، ممن ينتمون اليهم !

تلك هي المهمة الحضارية التي لم توفق المجلات الادبية في اوربا الى اداها بعد !

مجلات فيتنام الديمقراطية

« تكمن اهمية الصحافة الادبية في انها ، بانشطتها المتعددة تدمم الرابطة بين الكاتب والجمهور » .

هذا هو افضل ما يمكن ان يقال في شان الصحافة الادبية ، وقد اظلمنا بويها على ما جرى ويجري في تلك البلاد التي يبرد

ذكرها يوما على اقلام الصحافيين والادباء في جميع انحاء العالم ، من نشاط في هذا الحقل ، و اشار الى جانب قل ان يفكر فيه المرءون ، هو مهمة الصحافة الادبية في رعاية المواهب الشابة ، وتشجيعها ، ذاكرا ان المجلة الاسبوعية الفيتنامية « ادب وفنون » تنظم مسابقات في القصة ، والشعر ، والمقال . وفي نهاية العام ، تنظم المجلات لقاءات بين المؤلفين ، ويتعارف الكتاب المبتدئون والكتاب المرموقون .

ربما كانت هذه فكرة عملية يصح ان يأخذ بها اصحاب المجلات الثقافية في لبنان ، وغير لبنان من البلدان العربية ، وتبناها الجمعيات والاندية الثقافية ، على مدى اوسع مما عرفته حتى اليوم ، وباسلوب غير الاساليب التي درجت عليها صحافتنا الادبية العربية ، وقد اشار الصديق الدكتور ميشال عاصي الى المجلات اللبنانية التي « اسهمت في تنشيط حركة الابداع الفني ، بعد الحرب العالمية الاولى ، وخلال فترة الانتداب » . ولكن هذا الجو توارى او كاد بعد الخمسينات من هذا القرن .

المهم ان نفيد من تجربة فيتنام ، في هذا الحقل ، وهي التجربة التي عرضها بوي هين في هذا العدد من « الادب » . والذين ينبغي لهم ان يفيدوا منها ، انما هم العاملون في الحقل الوطني ، والقومية ، والمعنون بقضية فلسطين منهم ، على الاخص .

دور المجلات في الانتاج الادبي

ها انا افق لدى سرجي باروزدين ، على بعض ما كنت انتظره من خطاب سوفرونوف ، او من « عنوان » خطابه ، على الاصح ، ولكن موضوع باروزدين محدد . منصرف الى بيان « كيفية » في العمل ، هي : « كيف تساهم المجلات في الانتاج الادبي ؟ » .

وانه ليعرض في هذا المقال ما يصحح ان نسميه « الطريقة السوفياتية » ، وعلى النحو الاتي :

- 1 - نشر احسن الاعمال في النشر ، والشعر .
 - 2 - يناقش العمل المنشور على نطاق واسع بين القراء والذوات الادبية فور طبع العمل .
 - 3 - يصدر العمل نهائيا في صورة كتاب .
- ولهذه الطريقة ، كما يعرضها سرجي باروزدين وقيمتها ، ثلاث فوائد :

- 1 - تقدم المجلة للقاري عملا جديدا ، في فترة زمنية اقل .
- 2 - تمكن الكاتب من التعرف على الطريقة التي قوبل بها عمله ، فيصحح اخطائه ، ويزيد من مواضع القوة في انتاجه .

- 3 - يستلم الكاتب اجرا مضاعفا من ناشري المجلة ، وناشري الكتب .
- ذلك يستلزم بالضرورة ، ان يكون لدى كل مجلة دائرة مختصة بالنقد ، يضاف اليها دائرة للترجمة ، ودرس الترجمات عن اللغات الاخرى .

لا ادري اذا كان متاحا لمجلتنا الادبية ان تفيد من هذه الطرائق في تشجيع الانتاج الادبي ، وتطبيقها في الاطر العربية . ومن الواضح ان تطبيقها يحتاج الى اموال توزع معظم المجلات العربية ، او كلها بلا استثناء .

المجلات الادبية والابداع الادبي

يتحدث الاستاذ صلاح عبدالصبور عما قامت به المجلات في مصر - وهي التي تقود التغير الثقافي ، وتبشر بالقيم الجديدة في مجالات الحياة والادب والفن - من نشر كتابات كبار رجالها الاصلاحيين والثوريين ، مبينا ان « حياة الكتاب لا تزدهر في المجتمعات النامية بدون حياة المجلة الثقافية » ، حتى اذا وصل الى الحديث

عن الشاعر نسي ان يذكر « مجلة ابولو » ، وما كان لها من تأثير في شاعريات تلك الحقبة ، كما اذكر ان ثمة مجلة وفقت حياتها على الشعر ايضا ، كانت تصدر في اللاذقية « القيثارة » ولم يطل بها العمر ، شأنها شأن ابولو .

وهناك فقرة وردت عفوا على قلم الاستاذ عبدالصبور ، وكانها حقيفة بدهية لا تحتل الجدل ، وهي قوله : « . . . ففي ادب كادنا العربي نجد ان فنونا مستحدثة في بلادنا ، او بالاحرى مستنبطة ، تحاول ان تشق طريقها ، مثل فنون المسرح والرواية ، وهي فنون لم يعرفها تراثنا العربي » ! وليست المسألة بهذه البساطة ، ولا سيما فيما يخص الرواية ، فهذه ليست سوى قصة طويلة . والقصص في جوهره ، فن يكاد يكون عربيا خالصا ، وكان جون شتاينبك قد المح الى هذه الحقيقة ، حين قال : « عجب مدى ما نشر في « ألف ليلة و ليلة » على جنود للقصص الغربية جميعها ، تقريبا » ، هذا عدا عن الروايات الشعبية المعروفة ، مثل سيرة عنترة ، والملك سيف ، والوزير ، وتفريفة بني هلال . فالقول بانها « فنون لسم يعرفها تراثنا العربي » ، اغفال لرقصة من الواقع ، لا يجوز اغفالها .

دور المجلات الادبية اللبنانية في الخلق الفني والابداع

موضوع الدكتور ميشال عاصي ينحصر في بيان ما احسدت الصحافة اللبنانية الادبية ، من تأثير في الحياة الادبية على صعيد الابداع .

لم يشأ ان يكون مؤرخا ، ولكنه اضطر الى معالجة جانب من تاريخ الصحافة الادبية ، - وهو تاريخ لم يكتبه احد بعد ! - وهو يتتبع مظاهر الخلق الفني ، ومعالم الابداع ، فيما نشر في المجلات الادبية .

وهكذا حمله موضوعه حملا على اظهار « مكانة » لبنان في حقل الصحافة والادب العربيين ، وهي مكانة اولى ، من غير شك ، حتى في البلدان العربية الاخرى ، وفي مقدمتها مصر . ولكنه يربط ، على نحو من الانحاء ، بين الاسباب التي تجعل من لبنان بلدا تجاريا واقتصاديا مرموقا ، العوامل « المسعفة » على دفع اللبنانيين الى تحقيق المبادرات الخلاقة في شتى ميادين المعرفة . . . ثم يكمل هذه الصورة للوضع الثقافي والاقتصادي في لبنان بملاحظة الصراع الذي خاضته دائما ، وتخوضه في استمرار ، قوى الانتاج النامية ضد كل ما يعيق تطورها ، على الصعيدين : المادي والايديولوجي .

وجوهر المسألة لا يكمن في هذا الترابط بين الوضع الثقافي والوضع الاقتصادي ، فيما يخص لبنان بالذات ، ولا سيما عند تقصي عوامل الابداع ، لا عوامل الانتاج ، وانما يكمن - كما هو واضح تاريخيا - في اصالة اللبنانيين العربية من جهة ، ومواقف السلطات الاجنبية من هذه الاصالة ومحاولة تدميرها ، في اواخر العهد العثماني ، من جهة اخرى ، ثم فسي اتصال اللبنانيين بتيارات الفكر والفن والادب في العالم ، من جهة اخيرة .

ولنا في ادب المهاجر اكبر دليل على صحة ما تعرض ، فالذين هاجروا من اللبنانيين الى الاميركتين ، وحتى الى مصر ، في القرن الماضي ، لم يتركوا وطنهم الا هربا من حملات « التريك » ، وتخلصا من الضغوط التي كانت تمارس عليهم . . . والقياس يطرد في شان كل من هاجر من بعد ، منذ انتهت الحرب العالمية الاولى حتى اليوم . ثم ان لنا ، فيما يقرره الدكتور عاصي ، دليلا اخر ، حول « اهتمام » اللبنانيين الاول باحياء اللغة العربية ، في اول مجالات الخلق والابداع الفني .

ولقد كان الدكتور عاصي موفقا في استعراض المحاولات التي قامت بها بعض المجلات في هذا المجال ، ولكنه اغفل المحاولات التي جاءت بعد جيل « البرق » و« المعرض » و« المكشوف » ، وكانت تنمى لها مثل مجلة « الرسالة » و« الانطلاق » ، و« الرحمة » وورثتها « اصدا » ، فقد نشأت هذه المجلات ، تصيرا عن محاولة في التجديد والابداع ، ثم توارت لما لقيت من انصراف عن الادب وتيرم بالتجديد ، فكان احتجاجها تعبيريا أيضا عن اوضاع لا بد ان يعود اليها التاريخ ليدرسها في مرحلة لاحقة ، وكانت هذه « الندوة » بداية موفقة لها ، ومظهرا من مظاهرها .

الصعوبات التي تواجهها المجلات الادبية

وهذه هي السيدة عايذة مطرجي ادريس تحدثنا عن الصعوبات التي تواجهها المجلات الادبية - التي لم تحتجب بعد - في لبنان . ويقص علينا فؤاد التكرلي قصة المجلات الادبية والثقافية عامة ، ويقترح انشاء « هيئة » او اتحاد للمجلات الافريقية - الاسيوية ، وبين احمد ابراهيم الفقيه تجربة ليبيا في هذا الحقل ، ويعرض الصعاب التي عرضتها السيدة ادريس ، مع اختلاف في بعض وجوه الصعوبة ، ومقترحات لتذليلها . وكذلك هو حديث الدكتور عزالدين اسماعيل عما جرى ويجري في مصر ، وحديث الاساذين عبدالجبار داوود البصري وشمران الياسري عما جرى ويجري في العراق .

كل هذه المقالات ، بما فيها من وقائع ومعلومات ، وما يتخللها من مقترحات واره ، توحى بما لا يدع مجالا لشك ، ان ثمة « وحدة في مشاكل المجتمعات العربية » ، فلا ندحة عن النوان داخل كل مجتمع اولا ، ومع المجتمعات الاخرى ، لينم حل تلك المشاكل « الواحدة » بطريقة منهجية ، واهداف محددة ، والتعاون نفسه في مثل هذه الحالات بداية حل . . .

لقد بينت السيدة ادريس حين تعرضت لطرق « تذليل الصعاب » انها لا تعري الى من « تتوجه اولا » ، وذلك ناشيء عن شعورها بافتقاد التعاون ، في هذه المجالات ، بين مختلف القطاعات داخل المجتمع اللبناني ، ثم بين المجتمع اللبناني ككل وسائر المجتمعات العربية .

وكان ما بينه الدكتور عزالدين اسماعيل من « عناصر » داخلية تهدد كيان المجلة من داخلها ، غاية في الصحة والواقعية : « المجلة التي لا تستجيب في مادتها ، وفي فلسفة تحريرها للهوم والمطالب الروحية والفكرية الانية ، او التي تخطيء فهم هذه الحاجات الملحة فتتحرف او تنحرف الى مشكلات وهمية او قضايا لم يعد لها في الواقع رصيد من هموم الناس ، والمجلة التي تنفلق دون ما يجري في العالم ، سواء للجهل به ، او لتجاهله او رفضه ، والمجلة التي لا تفتح صدرها للمغامرات والكشوف الجديدة - المجلة التي هذا شأنها تصبح مهددة من داخلها ، ويؤذن نجمها بالافول » .

وهكذا ، يتضح الموقف ، ويمكن البدء في تنفيذ الحلول : تعاون في الداخل والخارج ، واقصاء كل عنصر يهدد كل مؤسسة ثقافية - لا المجلة وحدها - من داخلها ، وعمل مشترك بين المؤسسات الثقافية والسلطات للقضاء على العوامل والاسباب الحقيقية الكامنة وراء استخدام الرقابة !

وتلك هي خلاصة البيان الختامي لندوة المجلات الادبية والثقافية . فهل يمكن بعد ان يزداد عليه شيء ؟

نعم ! لا بد من الشاء على الذين اقاموا هذه الندوة ، وشاركوا في ابحاثها ودراساتها ، وهو نداء ينبثق من العمل نفسه ، ويتوجه تلقائيا الى عامليه .